في الأدب الغربي

« واذا أتى يوماً ؟ »

قصيدة لموريس ماترلنك

للأستاذ ابى قيس عز الدين علم الدين

عضو المجمع العلمى العربى

بمناسبة مانشرته الرسالة البارعة فى العدد الرابع عشر من رواية بلياس وملیزاند ترجمة الأستاذ حسن صادق ، أبعث للرسالة بقصيدة تعد من روائع الأدب الرمزى ، وقد نقلت الى معظم اللغات الغربية ، وأما شاعر هذه القلادة المروية فهو الأديب البلجى الكبير موريس ما ترلنك Maurice Maeterlinck الذى ولد فى غاندسنة ١٨٦٢ ، وقد نشأ مفطوراً على حب الأدب ، فحذق الصناعتين ويعده البلجيون من عباقرة شعرائهم وكتابهم الخالدين : وقد أدخل فى الادب البلجى اسلوباً جديداً وامتازت قصائده بطابع حزن عميق يثير مكنون الاسى ، وأما رواياته التمثيلية فانها تقنع مطالعها بأن حياة الناس خاضعة لعوامل خفية ، وأن العالم الارضى مقصىٌ عليه بقضاء وقدر مضاعف : قدر الحمام ، وقدر الغرام.

وأهم آثاره : بيوت الزجاج (١٨٨٩) ، الاغانى الاثنتا عشرة (١٨٩٧) ، الاميرة مالين (١٨٨٩) ، العميان (١٨٩٠) ، بلياس وملیزاند (١٨٩٢) ، العصفور الازرق (١٩١١) ، كنز المتواضعين (١٨٩٦) ، الحكمة والقدر (١٨٩٨) ، حياة النحل (١٩٠١) .

والآثار الثلاثة الأخيرة تدل على براعة ماترلنك وعبقريته ، وعلى رسوخه فى فلسفة الاخلاق وعلى شاعريته الجبارة ،

وأما قصيدته الخالدة الموسومة بعنوان « وإذا أتى يوماً ؟ » فهى من مرويات أغانيه الاثنتى عشرة ، ويعود تأثيرها البليغ الى تأثير موقفها الفاجع ، ولعمرى أى أمر أفجع من موقف شقيقتين تحتضر احداهما فتسألها الاخرى عما تجيب به اسئلة خطيبها اذا ماعاد يوماً من دار هجرته الى دار مهجته ، فتجيبها ، ولم يبق من شقيقتها إلا حشاشة ، بأجوبة رمزية تشبه غصص المنية ، وإليك الآن هذه الاغنية تلتاع القلوب الشاعرة لزفراتها ، وتنتزع العقول العبرة من عبراتها . . .

تفيض بها الأرجاء كلها ! ألا يفنى فى هذا كله الفراق المنبعث من القبر ؟ . . . . .

هذه الأنجم ضياء وحدتك ، وروحى كذلك أحد كواكبك ، والحبيبة التى كانت ملكا — طارت لا ريب — الى جنتك

كلما ذكرتك اتسع خيالى ، وصارت فجرا منيرا هذه الليالى . ما أعظم اسمك أنسا للروح ، انه يسير اليك فى صيحات الفؤاد المجروح ؛

.....

أقول « الله » فينفسح المجال ، أقول « الله » فيفارقنى الزوال . بحركة هذا الصوت الأعظم ، يطير جناحى وان حطمه الغمّ

أنت أقرب الى الله يامحمد ، أيها العقل المعظم المؤيد ، أنت الذى سلكت بنا السبيل ، وكنت الى الله الدليل .

.....

ليصمت بعدُ هذا النواح ، فلا تضيق به الأرواح ، هذه الآهة التى تفيض من الروح ، لن يسمعها بعدُ الاقلبى المجروح سأكون فى الدنيا قبرها ، تطوف فوق روحها ، سأصمت عن هذا النحيب ، لأفرغ للتفكر فى الحبيب . اه

س : وإذا أتى يوماً وعاد فما أقول لمن يعود ؟

ج : قولى له : انتظرتك حتى فارقت هذا الوجود

.....

س : واذا الحّ وليس يعـ رفنى ليكتشف الحقيقه ؟

ج : فتحدثى معـه كما تتحدثين الى شـقيقه

.....

س : وإذا تساءل : أين أنتِ فما يكون جوابه ؟

ج : أعطيه خاتمَ خطبتى الذهبىّ فهو جوابه

س: وإذا استراب وقد رأى في المخدع الخالي العجاج؟
ج: فاريه أن الباب مفـ توح مذ انطفأ السراج

س: وإذا استزاد مروّعًا عن حال ساعتك الاخيره؟
ج: قولي له: ابتسمت مخا فةَ أن تنوحَ على الكسيره

الفيحاء أبو قيس

« بوفون BUFFON »

تمخض العالم عن شخصية « جورج لكلرك « قونت بوفون » في مدينة «مونت بار» عام ١٧٠٧ . ولما يفع وترعرع دخل معهد الآباء اليسوعيين ، ليحتلب من ضرعيه علوم القرن الثامن عشر ؛ ولكن نفسه الجبارة، نزعت الى الطبيعة الخلابة، فودع بقية العلوم في ذلك المعهد ، وراح يضرب في انحاء ايطاليا وانجلترا ، يتحرى قوانين الطبيعة في أماكنها ، ويدرس طبائع الحيوان والنبات عن كثب ، شأن البحاثة المدقق الذي لا يرضى بما لاح من صيد ، ولا يعود من مغامرته بالقشور دون اللباب . فانكب على العلوم الطبيعية ، يقتلها درساً وتحقيقاً، حتى ضرب فيها بسهم صائب ، وبلغ منها ما أمل وما أراد ؛ ولم يَدُر مع الأرض حول الشمس ٢٦ دورة حتى انتخب عضواً في « أكاديمية » العلوم . وبعد هذا التاريخ بست سنوات عين ناظراً عاماً « لبستان الملك » الذي يطلق عليه الفرنسيون اليوم اسم « بستان النبات » . كان « بوفون » إذا أراد الكتابة ، اعتزل الضوضاء في غرفة منزوية ، وارتدى ثوبه ذا الأكمام الموشاة ، والناطق باسم مقامه العالي ، وتقلد سيفه المحلى بحلى ثمينة ، ثم جلس الى مكتبه يتخير لأفكاره أشرف المباني ، ولعواطفه أرق التعابير ، وحينما ينتهي من كتابته يعيد قراءة ما دبجته يراعته ، بصوت مرتفع أجش ، وجنان تتجاوب في ارجائه عواطف الحماسة والعظمة ، حتى إذا ماهذّب ونقح ، وتلا ما كتبه ثالث مرة : غادر مكتبه وماء البشر يترقرق في وجهه ، ونشوة السرور تدب في جسمه . اشتغل بوفون مدة خمسين عاماً في تأليف كتابه «التاريخ الطبيعي» جوهرة الأمس ودرة اليوم ، ولكن المنية شعبته فحالت دون تدوين دراسته المستفيضة بكاملها ، فظل الكتاب مبتوراً تنقصه ابحاث مهمة كالأفاعي والأسماك ، والحشرات والنبات ، وقد سد هذه الثغرة في هذا الروض الأريض « لاسيد » تلميذ بوفون المخلص ، وصديقه الحميم .

ومهما يكن من شيء فأن شهرة « بوفون » ما زالت تطوى المراحل وتجوب الأمصار ، وسمعته ما انفكت تسير بذكرها الركبان ، وتتجاوب بصداها المحافل . وقد عرف له مواطنوه نبوغه ، فانتخبه المجمع العلمي الفرنسي عضوا فيه ، وأنعم عليه لويس الخامس عشر بلقب «قونت » .

ولم تخترمه يد المنون في عام ١٧٨٨ حتى رأى تمثاله منتصباً في مدخل متحف التاريخ الطبيعي ، وقد حفر عليه باللغتين الفرنسية والألمانية : « إن عظمة الطبيعة تساوي عبقريته »

ولست لأعرض الآن لأدبه بالتحليل والنقد ، فعساي أن أعود اليه في يوم آخر ، ولكني مترجم هنا آية من آياته الخالدة ، في وصف الصحراء العربية .

* * *

« صحراء جزيرة العرب Le desert de l'Arabie »

« تصور بلاداً لا تتنفس عن اخضرار ، ولا تترقرق في مآقيها المياه ! شمسها تتقد اتقاداً ، وسماؤها أشد جفافاً من الضرع الذاوي . تستر الرمال أدمَ وديانها ، وتسيطر جنود الجدب على جبالها ! ! تطل عليها الباصرة فيضل البصر فيها ، دون أن ينعم برؤية شيء تتجاوب فيه خطرات الحياة .

أرض جر عليها الموت أذياله ، قد عصفت فيها أعاصير حاصبة ، نزعت عنها غلالتها الرملية ، فلا يصطدم فيها نظرك العُقابي ، إلا بهياكل عظمية ، وحصباء منتثرة ، وصخور منتصبة ، وأخرى مستلقية .

صحراء ليس بينها وبين وهج الشمس من حائل ، فليس بمقدور المسافر أن يفيء الى ظلال بليلة . هنالك لا صاحب

فيؤنس وحشته ، ولا شيئاً حياً فيذكره بالطبيعة الحية : عزلة مطلقة ، وارفة الجناحين ، ترعب أكثر من ألف مرة من عزلة الغابات ، لأن الاشجار كائنات حية فى نظر المنفرد المسكين الضال فى هذه المهامه الخاوية ، والمتمردة على سلطان الحدود.

يتراءى للمسافر حيثما اشاح بوجهه ، أن قبره منبوش فى هذه الفيفاء : فيرى نور النهار الساطع ، أكأب من حلوكة الليل الدامس ، لأن هذا النور لا ينبعث الا لينير له عن خوره وارتخاء مفاصله ، والا ليمثل له هول موقفه وحراجته، ذلك أنه ينأى عن عينيه حدود الخلاء . ويزيد فى بسطة هوة الأتساع ، تلك الهوة التى تفصله عن الأراضى الآهلة . رقعة واسعة تكفيه مؤونة التطواف ، ففيها جوع كاسر للطرف ، وفيها ظمأ عاصب للفم ، وفيها حرارة قادحة للثقاب . هذه كلها تضغط على مابقى لديه من لحظات تتردد بين اليأس والموت».

حلب : عبد الوهاب حومه

بحر ناعس

(SLEEPING SEA)

لجون فريمان

بحر
كالطفل الغارق فى سباته .
يحتفظ
بخوالج وجدانه فى نهاره ليرددها على لسانه فى ليله
لا تكاد
تطفح لجته المرتفعة حتى تخور فتتراجع فى هوادة وبطء
والبحر
فى هدوئه كركود الطفل فى غفلته . القمر من هزاله
كلهب الشمعة يذوى ويحتضر .
لا صوت
بالبحر كالطفل الحالم وفى سكرة نومه الحادة يئن بخفوت مؤلم.
ثم يرسل من أعماق صدره زفرات حارة فى تأوهات
صامتة . لقد تشابها . ؟

منوف احمد محمد البيه

اللقاء العجيب

لأندره شينيه

هى: أيها الغاب هل رأيت حبيبى قرب ماء الغدير عند الغروب؟
كم صباحٍ أتاك بل كم مساءٍ عند همس الصبا وشدو الجنوب
سوف أصغى لكل صوت بعيدٍ فلعلّى أحظى به من قريب
هو: إيه يا موجة الغدير سلاماً يا عروس الماء النمير السكوب
إحملى لى حبيبتى فهى عندى زهرة الحب فوق غصن رطيب
كم لثمت العشب الذى وطئته قدماها فى الغاب دون رقيب!
هى: آه لو يعلم الحبيب بشوقى وحنينى وحرقتى وشجوبى
هل أراه فى الغاب؟ إن خيالى ليراه فى ذا المكان الرحيب
سوف أدعوه بابتسام وعطف فعساه يكون بعدُ مجيبى
هو: رب هب لى رحماك صبراً جميلاً إنما الصبر جنّة المكروب
هل أتاها أنى ليخفق قلبى لسماع اسمها الجميل الطروب ؟
سأنادى دوماً بصوت حنونٍ علّها أن تجيب صوت الحبيب
هى: آه إنى رأيته فأغنّ يالسانى فى ذا اللقاء الرهيب
إيه يا ناظرى ويا شفتيا إهدآ ساعة اضطراب القلوب
هو: مالهذى الاوراق تهتزدونى ؟ قد بدا لى ثوب الفتاة اللعوب
إنه ثوبها فيا مقلتيا عبرا عن غرامىَ المحجوب
هى: أهنا أنتَ ؟ إن ذا لعجيب أنا وحدى فى ذا المكان الجديب
لم أفكر فى أن أراك ولكن جزْته نحو بيتىَ المحبوب
هو: أنا ألهو برؤية الموج وحدى وذُرى الزيزفون تجلو كروبى
لم أفكر فى أن أراكِ أمامى لم أفكر فى ذا اللقاء العجيب !

دمشق محمد ناجى الطنطاوى